

بيوت صنعاء التقليدية (١)

ويعزو بعض الباحثين تميز العمارة اليمنية بهذه الطبيعة البرجية لعوامل طبيعية متعلقة بطبيعة استعمال الأراضي الزراعية البغدادية، والاستفادة من علو البيت للإضاءة والإشراف على الممتلكات الزراعية، وأيا ما كان الدافع فقد تميّز البيت من ناحيتين تبعاً لهذا التشكيل الراسي:

البيت الصناعي وتكوينه يختلف عما وجدنا سابقاً في البيت البغدادية، وان هذه الطبيعة المختلفة مردها عوامل محلية بعضها اجتماعية متعلقة بطبيعة المجتمع المحلي الزراعية مما يتحكم في التوزيع الراسي للبيت، وبعضها الآخر ذو طبيعة بيئية أو مناخية تتحكم في التوزيعات الفراغية ألقيا.

والبيت النموذجي عادة هو البيت الذي تتوجه أشطه للجنوب فيما تحتل الخدمات كالحمامات والإراج والمخازن والواجهة الجنوبية، فيما يظل الديوان أو صالة جلوس العائلة بالطابق الثاني الواجهة الشرقية أو الغربية.

هذا فيما يتعلق بطبيعة توزيع البيت الواحد. كذلك فإن بعض العادات الاجتماعية كعادة وضع وتخزين القات تتطلب انزعالية في جلسات المسامرات وأثناء تخزين القات، وهو مجلس الرجال بالمفرج بالطابق الأخير، والتساؤل الذي يطرح: ما هو تأثير هذا التوزيع المختلف على العلاقات المختلفة بين الأنشطة الحيوية بالبيت؟

بكلما أخرى هل الفراغات الرئيسية بالبيت كصالات المعيشة رئيسة فعلاً في علاقاتها مع غيرها من الفراغات، أم أن التوزيع الفراغي كان انعكاساً محضاً لهذه العوامل المذكورة، وذلك على حساب أهمية الفراغات الوظيفية موقعياً؟

وهل يؤثر وجود المفرج وهو مجلس الرجال على خصوصية الأنشطة بالطوابق السكنية كالحرمك مثلاً، وما القيمة التكميلية للفراغات الرئيسية ضمن حالات دراسية معينة؟ وللاجابة عن هذه التساؤلات ستتناول حالات دراسة معمقة تقوم بتحليلها باستعمال نظرية منظومة الفراغ، وهو موضوع لمقال التالي.

بالتوجه الشمال فيدعي البيت الناقص، حيث تدعى الواجهة الشمالية الواجهة الناقصة، أما الواجهة الشرقية والغربية فتدعى شبه الكاملين، وعليه تعتمد تسمية البيت نصف الكامل أو الناقص تبعاً للأنشطة المتوزعة في هاتين الواجهتين اللتين تختلف ساعات ومدته تعرضهما للشمس يومياً.

والبيت النموذجي عادة هو البيت الذي تتوجه أشطه للجنوب فيما تحتل الخدمات كالحمامات والإراج والمخازن والواجهة الجنوبية، فيما يظل الديوان أو صالة جلوس العائلة بالطابق الثاني الواجهة الشرقية أو الغربية.

هذا فيما يتعلق بطبيعة توزيع البيت الواحد. كذلك فإن بعض العادات الاجتماعية كعادة وضع وتخزين القات تتطلب انزعالية في جلسات المسامرات وأثناء تخزين القات، وهو مجلس الرجال بالمفرج بالطابق الأخير، والتساؤل الذي يطرح: ما هو تأثير هذا التوزيع المختلف على العلاقات المختلفة بين الأنشطة الحيوية بالبيت؟

بكلما أخرى هل الفراغات الرئيسية بالبيت كصالات المعيشة رئيسة فعلاً في علاقاتها مع غيرها من الفراغات، أم أن التوزيع الفراغي كان انعكاساً محضاً لهذه العوامل المذكورة، وذلك على حساب أهمية الفراغات الوظيفية موقعياً؟

وهل يؤثر وجود المفرج وهو مجلس الرجال على خصوصية الأنشطة بالطوابق السكنية كالحرمك مثلاً، وما القيمة التكميلية للفراغات الرئيسية ضمن حالات دراسية معينة؟ وللاجابة عن هذه التساؤلات ستتناول حالات دراسة معمقة تقوم بتحليلها باستعمال نظرية منظومة الفراغ، وهو موضوع لمقال التالي.

فراغية في الجزء الآخر. ونبحث تالياً جوانب من البيت التقليدي في مدينة صنعاء باليمن.

يعتبر البيت اليمني متميزاً بطبيعة تكوينه البرجية الراسية التي تميّزه عن غيره من أنماط البيوت التقليدية في المدن العربية، ويرتفع البيت اليمني على عدة طوابق تتراوح ما بين الأربعة والتسعة،

الملون بما يعرف بالقمريات في العمارة العربية، وتلقى النوافذ بظلالها البديعة للداخل حين مرور الضوء عبر الزجاج الملون وانعكاسه على الأرضية الداخلية. وتشكل جلسات المسامرات بالمفرج بالطابق العلوي أبرز مظاهر التفاعلات الاجتماعية التي عادة ما تمتد لساعات طويلة وتحتوي على مضغ وتخبز نبات القات الذي يتطلب ساعات طويلة، حيث يجلس المتسامرون وعادة ما يحضر الضيوف القات معهم. وعلى الألب ما يكون من أفراد الأسرة القاطنين بالبيت هو سبعة إن كانت الأسرة نووية وغير ممتدة، وبهذا يمكن أن يمتد البيت لأكثر من هذه الطوابق الأربعة تبعاً للنوعية الإسرية وحجم الاستعداد الراسي المطلوب لايواء عدد القاطنين من أفراد الأسرة أو الأسرة الممتدة أو الزوجات في حالة تعددهن.

أما العامل الآخر الذي يتحكم في توزيع الأنشطة والفراغات الوظيفية بالبيت الصناعي، فهو الشمس وحركتها اليومية، وقد أدى هذا التوزيع الذي يحكمه المناخ وعامل الشمس إلى تسميات البيت تبعاً لذلك، فالبيت الذي تتوزع الأنشطة المهمة فيه يكون باتجاه الجنوب - وهذا الغالب - حيث التعرض لأشعة الشمس الكاملة، وتسمى الواجهة الجنوبية على الوجهة الكاملة، أما البيت الذي تتوجه الأنشطة الرئيسية به

الذكور بدخول هذه المنطقة، وتوجد هذه المنطقة (الحرمك) في معظم البيوت العربية التقليدية، ولا تشيع ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع الصناعي بكثرة، ولذلك فمن غير الشائع أيضاً أن تشاطر أكثر من زوجة نفس الحرمك. إن يمكن للزوج الشري الذي يجمع بين أكثر من زوجة أن يسكنها إما في بيت آخر أو في طابق آخر من البيت البرجي متعدد الطوابق، ويشكل عام يحتل الحرمك والدة رب البيت وزوجته، وأحياناً أخواته غير المتزوجات وأحياناً زوجات أخوته والأطفال. ونجد المبلح يقع في هذا الطابق حيث سهولة الترخيم بين الطابق الثاني الذي يحوي صالة الاستقبال الرئيسية وكذلك للطوابق العليا، وبذلك يسهل موقع المطبخ في هذا الطابق المتوسط من الترخيم راسياً، وأيضاً نظراً لتركز الحرمك ونساء البيت به.

أما الطابق الرابع الرئيسي فيحتوي أهم صالة بالبيت وهي لجلس الرجال بالبيت ومسامرتهم ويمكن استقبال الضيوف ذوي المكانة القمرية من رب البيت والعائلة في هذه الصالة والتي تدعى (المفرج). ويمكن أن تعزى هذه التسمية إلى طبيعة إطلالة الصالة للخارج وإمكانية العرجة من نوافذها المتميزة الضيقة، وتتميز نوافذ هذا المفرج بأنقسامها إلى العديد من الفتحات العليا لإدخال الأتارة، والوسطى للتهوية والأخيرة للمفرج، كما تحتوي على الزجاج

بحسب مقال سابق البيت في بغداد كبدائية سلسلة تعنى بدراسة البيت العربي التقليدي على أرجاء الوطن الكبير، وتم استعراض أبرز الدراسات التي أجريت حول تطوره ونشأته تاريخياً، بالإضافة إلى لمحات من علاقة البيت بالمجتمع من ناحية وبالبيئة من ناحية، وكذلك آلية تكوين البيت العضوية من ناحية

عادة يفضي إلى الدرج الرئيس للبيت الذي يعود للطوابق العليا، ويحتوي أيضاً على مخازن للحبوب وحفظات المشايخ إن كان رب البيت مزارعاً ومربيماً للماشية.

في الطابق الأول غالباً ما تتوفر فراغات وظيفية مثل حجرة تجمع العائلة واستقبال الضيوف الذين يحتاجون لخلع أحذيتهم لدى الدخول، وتفرش هذه الحجرة بالسجاد وتحتوي على إيوانات غائرة بالجردان تستعمل للجلوس، إذ تفرش بالبسط والمقاعد المشوة بالقطن، كما إن النوافذ منخفضة بما يمكن للجالسين من مد النظر عبرها، وتختلف هذه المفروشات الأرضية أو مما يتم تعليقه على الجدران بحسب مدى فراء صاحب البيت.

أما الطابق الثاني فيحتوي الحجرة الرئيسية التي تشهد مختلف أنواع احتفالات أو جمعيات الأسرة في المناسبات المختلفة من أفراح وإتراح، ففي هذه الصالة يحتفل أفراد الأسرة بالزواج، أو يوم قدوم مولود جديد، أو الأعياد الدينية، وكذلك تغسل الجنابة وتسجى قبل إخراجها.

الطابق الثالث يحتوي حجرات أصغر غالبها للنساء والإطفال، بالإضافة إلى الفراغات الوظيفية التخديمية كالمطبخ، وهذا الطابق يطلق عليه تقليدياً الحرمك وذلك لطبيعة العزلة والنشاطات الوظيفية التي يحتويها، وحيث لا يسمح لغير القاطنين بالبيت من

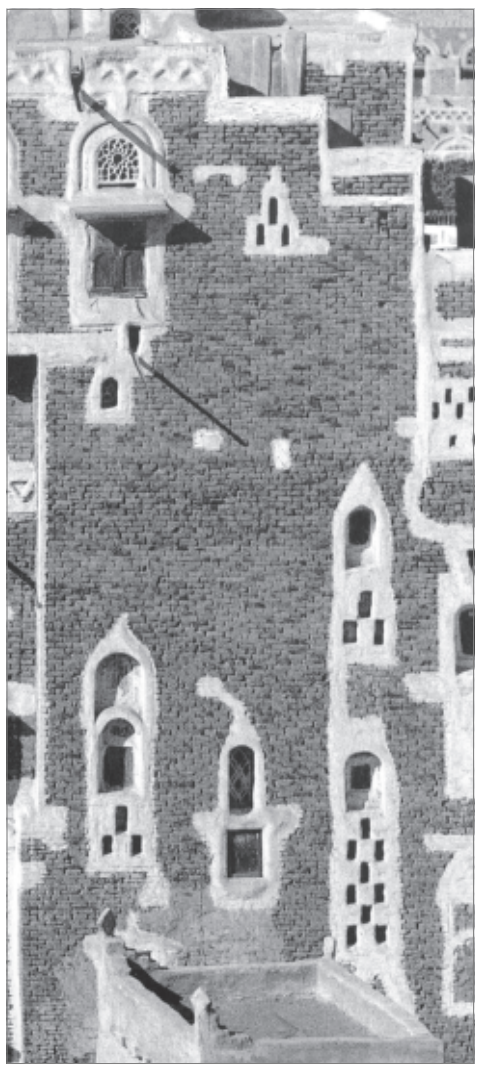
د. وليد احمد السيد
معماري / جامعة لندن

الأولى حيث توزعت الأنشطة والفراغات الوظيفية البيئية راسياً خلافاً لما هو مألوف في العمارة العربية والبيوت التي تلتق فراغاتها حول فناء وسطي كما في القدس مثلاً، أو القاهرة أو بغداد أو تونس أو مناطق اقليمية بالبيت السعودي التقليدي.

الثانية: وتتعلق بطبيعة التجمعات السكنية ذاتها والمكونة من مجموعة بيوت أو بكلمات أخرى المتجاورة السكنية.

تالياً نلقي الضوء على هاتين الناحيتين بالإضافة إلى العلاقات بين هذه التوزيعات الفراغية والتفاعلات الاجتماعية التي يحتويها البيت.

بدراسة وملاحظة توزيع الأنشطة والوظائف المختلفة في البيت الصناعي، فقد تأثرت هذه التوزيعات الفراغية بالإضافة إلى العامل الرئيسي المذكور وهو الراسية أو الطبيعة البرجية للبيت بعامل آخر لا يكاد يقل أهمية وهو حركة الشمس اليومية فمن ناحية التوزيعات الفراغية بناء على الراسية نلاحظ نمطية معينة كلما يخلو منها بيت نموذجي في مدينة صنعاء التقليدية، حيث يبدو أن أهمية الوظائف - وهي ناحية متطابقة - تزاد في الطوابق العليا فنجد أن الطابق الأرضي غالباً ما يخصص لبهو الدخول الذي تجده



أخبار العمارة والعمران

بنك جدة

العاكسة الثلاث بين الواجهات الثلاث وتلطيف درجة الحرارة بين المبني وذلك عملاً بنظام فرق الضغط بين المناطق المظلمة والمعرضة لأشعة الشمس، فيرتفع الهواء الساخن للأعلى ليحل محله تيار هوائي لطيف من الهواء البارد وهكذا، وهي بالضبط فكرة المعالجة المناخية في الفناء بدفوعها التقليدية في العمارة العربية الإسلامية، ولكنها هنا بدلاً من كون الفناء أفقياً، فإن الفتحة الجيدة التي يطرحها المصمم Gordon Bun shaft من المكتب Skidmore, Owings Merrill and في فكرة الفناء الراسي وليست بمفهومها التقليدي، وبذا يملئ البنك ظاهراً جديدة في تقديمه لنمط جديد من المباني المكتنبة العالية التي تتعامل مع المفاهيم التقليدية بصورة معاصرة.



للواجهات الخارجية من جهة ثانية، مما أعطى المصمم مرونة وفكرة بارعة في معالجة الواجهات الثلاث الخارجية للبنك الذي كان من الممكن أن يشكل مظهراً ملاماً بصرياً أماما الحل الناتج كان بارعاً بحيث يمكن فتح إحدى الواجهات الثلاث كل على ارتفاع مختلف بالتالي، وهذه الوسيلة فعالة للغاية في المشاريع الحضارية إذ تسهل وتمكن المارة من ادراك وتحسيد الاتجاهات واستعمال المباني العالية كصورة بصرية سهلة الرؤية عن بعد والاستقلال من خلالها.

ويعد المشروع كذلك ظاهرة في تقديم معالجة مناخية متميزة في مناخ حار والذي يتحول جافاً أحياناً ورطباً أحياناً أخرى، وعلينا بالوصف الرولية أحياناً أخرى. وقد تم تصميم البنك باعتماد الشكل المثلث كما ذكر مع إضافة عناصر الخدمة والحركة بشكل مضاف ومستقل عن جسم البنك وملحقة بإحدى جوانب البنك الثلاثة، مقترح المصمم أصلاً توجيه إحدى زوايا المثلث باتجاه البحر، ومن أجل العمل على التخفيف من ضخامة علو المبنى فقد تم فتح الواجهات الضخمة من ارتفاعات مختلفة بحيث يبدو بالواجهة ظل ومجموعة من المكاتب الغاطسة داخل الظل والتي تقي الحر ووجه الشمس والرياح المحملة بالغبار وعوامل الطقس الخارجية، فيما تبقى أجزاء الواجهة الأخرى المصمتة منعزلة عن الواجهة المناخ الخارجي القاسي، وبالإضافة لذلك فقد تمت معالجة الشرفات والأسطح الداخلية لجميع المكاتب الغاطسة داخل الظل بزراعتها بالنخيل وكثافتها وأحاديث داخلية. وعدا عن المنظر والأجواء الداخلية المتميزة التي توفرها هذه الواحات المعلقة المزينة بالنخيل، فإنها تعمل على تحريك الهواء بين المناطق

ويبدو أن اختيار المصمم لهذا الشكل الهندسي التقني ذي الزوايا الداخلية المدببة والتي يصعب التعامل معها ما كان لينجح بون تحقيق دراسة واعية متكاملة لطبيعة المشروع وبرنامجه الوظيفي الذي يتبع ويفرض استخدام الفراغ المفتوح لتحقيق آلية تفاعل حديثة ومعاصرة لبنني البنك بمفهومه المعاصر، حيث يمكن حجب أو دمج العلاقات المختلفة بين الموظفين بعضهم ببعض من ناحية وبين الإدارة المشرفة من ناحية أخرى بواسطة الحواجز المؤقتة مما يتيح للمصمم الحرية في تصميم الفراغ العام للمبني من الداخل وتحقيق انسيابية وانفتاحية محبذة راسية وأخرى أفقية بين الطابق.

ومن هنا يطرح المشروع بقوة فكرة الفناء الوسطي لا بمفهومها التقليدي إنما كحيز فراغي رابط بين الطابق جميعاً من جهة، وكحيز فراغي منظم

□ لوناير - لندن:

يمثل هذا المشروع واحداً من أبرز المشاريع التي تطرح مفهوم العمارة المكتنبة في العالم العربي في القرن العشرين، حيث قدم نموذجاً فريداً ما يمكن للمعمارة العالية تقديمه اعتماداً على التفاعل مع العمارة (غير التقليدية) من حيث برنامجها الوظيفي وانها لم يسبق لها مثيل نمطي في العمارة العربية والإسلامية، حيث يمكن نسبة بعض أنماط المباني للمعمارة (العالية)، وانها ليست ذات جذور عميقة من حيث أصل نشأتها وتفرقتها الوظيفية. بيد أن التصميم المقدم لبنني بنك جدة يتميز بأنه محاولة جيدة (الظلمة) هذا النمط من المباني واضفاء الصبغة المحلية على الناتج النهائي سواء من حيث الشكل أو من حيث الأفكار الخلاقية التي تضمنتها المشروع وظيفياً وفراغياً.

بمنزلة هذا المشروع الذي تم تصميمه وبناءه بين الأعوام ١٩٧٩-١٩٨٣م ويقع في الحي المنطقية القديمة من المدينة وضمن المنطقة التجارية كذلك بتقديمه فكرة التعامل مع الأشكال الهندسية النقية، حيث اعتمد المصمم الشكل المثلث التقني للتخطيط الأفقي لبنني البنك الرئيسي وهو شكل هندسي نادر المثال في العمارة العربية بمفهومها التقليدي. ورغم أن هذا الشكل الهندسي يكسر استعماله في العمارة الغربية ومألوف للمصمم (سكدمور اونغ اند ميريل).

جولة عبر مدن العالم العربي التقليدية: مدينة مكناس - المغرب

نحو المحيط الاطلسي والبيضاء الآخر باتجاه مليلة، وتنسب إلى بني مدرار وهم من بربر مكناسة هذه المدينة ومدينة تازا أيضاً. وقد اتخذها المولى إسماعيل عاصمة المملكة لمدة خمسين عاماً وذلك تدعى العاصمة الإسلامية، مما يبين بعضاً مما تركت المدينة من مآثر عمرانية تقليدية فريدة. وتظهر المدينة داخل أسوارها بشكلها غير المنتظم ويبلغ طولها ٤٠ كيلومتراً، وتتميز بمناقة وأناقة عمارتها وبنائاتها التقليدية التي تزخر بها. وبها مجموعة من المباني مثل قبة الخياطين وهي جناح معد لاستقبال السفراء الأجانب، ومجموعة من البوابات التي تشتهر بها مدن شمال أفريقيا بعامة، فهناك باب منصور العليج المشرف على ساحة الهديم، والذي يعد من روائع الفن المعماري العربي التقليدي، وباب فيلالة وغيرها. وكذلك الصهرج الذي تبلغ مساحته أكثر من أربعة هكتارات لري البساتين. وهناك قصر الدار البيضاء وهو من أروع القصور العمارة ويجوي اليوم مقر

الأكاديمية العسكرية، وتقع بالقرب منه بقايا من آثار الإصطبل الذي يحكى أنه كان يضم أكثر من ١٢ ألف حصان. كما تحوي المدينة بوابات أخرى كسباب الخميس الذي يؤدي إلى بقايا الحي القديم الذي كان يدعى قديماً مدينة الرياض. كذلك توجد بوسط المدينة فيما يتخلل السور القديم والأحياء المهمة مجموعة من الآثار المعمارية المهمة كالدور مثل دار السمن، وكذلك تشتهر بحدائقها الغناء مثل جنة السلطانات، وجنة السواقي، وكذلك المساحات المزروعة كمساحة الهديم وحديقة السبول التي تضم حديقة حيوانات ومرافق تخص السياحة، وحديقة النباتات المعروفة بحديقة بانويون أو الشعبة السعيدة. وذلك لأشهر المنطقة بخصوصية أراضيها. بالإضافة إلى مساجد كمسجد باب البردعيين والتوتة والجامع الأعظم، ومدارس كالمدرسة الفلاحية الكبرى. كذلك تشتهر المدينة بعيونها المعدنية الحارة كعين الحمة والتي تبعد ٣٠ كيلومتراً عنها والسخونة. وتشتهر مدينة مكناس



□ لوناير - الرباط:

مدينة مكناس أو كما تسمى مكناسة الزيتون تعد من المدن المهمة التي تشتهر معمارياً بنمطية متميزة بالإضافة إلى غيرها من كبريات المدن المهمة كمدنية فاس أو الدار البيضاء أو مراكش أو الرباط وغيرها. ويرجع تاريخ تأسيس المدينة للفترة الإسلامية الأولى وذلك مما يكسبها أهمية تاريخية خاصة، ويعد الموقع الذي تأسست به المدينة تكثرارات، وتنسب هذه المدينة لاسم قبيلة لا يعرف بالضبط تاريخ دخولها المغرب الأقصى، بيد أن مواطنها الأصلية إبان هجرتها كانت بلاد المغرب الأوسط، وتسابلت مع قيادة الفتح الإسلامي في سهول ملوية ثم تدفقت متجهة إلى الموقع الحالي لمدينة مكناس حالياً، وقد تفرقت جموع هذه القبيلة، إذ اتجه بعضها نحو سجلماسة، وبعضهم